

الأب يوسف عيّن

وميطرفي مبدد الالطف
قصائد صوفية



الأب الدكتور يوسف يمِين

ومِيضٌ في معبد اللحظة

قصائد صوفية

إهدن – صيف 1988

المقدمة

تلقتي بذاتك مكتوبا" وأنت تقرأ هذه الخواطر
التي طالما فرّخت على قصاصات ورق،
صغيرة وكبيرة، وانحشرت في الجوارير،
منتظرة دورها، لكثرتها وغيرتها من بعضها،
حتى اتسحت أخيرا" بسواد طباعتها فتأنقت،

... وتندهش من حالك فيها حين ترى
كم أنك الطاعن في الحب، المغروم النازل حتى
أذنيك بالله، الناقر على شبابته غزلا"، المتصوف
فيه حتى آخر ورقة، كأنك وحدك العارف في
سواد سرك، بياض عينيّه.

ولا يسعك، وأنت أمام وجهك، إلا أن تتكىء
على ظلك وتتكسر. من ذاكرة عشبة على عتبة
تتعرف على الغابات، من برية الصورة القائمة
من نومها، حيث اللحظة خالية من الوقت، فيها
الانزلاق وليس عليها، ولا ينقصها – رغم
شفافية اكتمالها – غير نفضة غبار واحدة، من
حين لآخر، حتى تلتمع فيطل كل الشجر منها
وكل التراب.

ثمة من يدعوك، من قلب معبدها، إليك، و عليك
أن تعود الى أول حجر فيك، عليك أن تدخل،
المفتاح أصبح في يديك، الباب في المفتاح،
والجميع في الداخل حتى الخارج (الخارج آخر
يفتش عن داخله).

هوزمن الوضوح !

حيث رماد الخوف ينزاح، والكواليس تخرج إلى
الخشبة، أمنح للقشعريرة مكانا" في الجوار، إنها
تمطر شمساً" تحت سقفاك وأنت واقف عريان لا
تملك في يديك غير حقيقة قلبك.

هوزمن الفرحة !

حيث الومضات تشعل نار الحضور وتكسر في
سحرها خيط اللمعان فلا يعود للأرض سوى
مدار قبعة من قش، العمر الهارب الذي يركض
اعتصره قبل أن يمر، علق معطف قناعك على
الباب وادخل:

الحقيقة «تدبك» على الحيطان !
إنها تومض في معبد اللحظة،
احترق ! احترق ! لا مجال للتفكير،

فوزي يمينا

الإهداء

إليكِ يا رفقة

أيتها الجارةُ القديسةُ°

أيتها اللؤلؤةُ النفيسةُ°

هذه القصائدُ الصوفيَّةُ

إنها زهورٌ بريَّةُ°

ولكنها زهورٌ جرديةٌ

وباعتناءٍ تجمَّعتُ

هديةً من جارٍ

لعينك التي اقتلعتُ...

على العتبة
إذا لم تدخل°
معد اللحظة
سوف تبقى
خارج العيد
والمواعيد...

إليك كلماتي :
سكبُ جروحي
عصارَةُ ذاتي
نبضات رُوحِي...
ومن شاطيء الآنِ
وأنتَ بعدُ هناكُ °
أتنفّسُكِ بوسعِ كيانِي
وأعيشُ في مداكُ °

الومضة الأولى

أسمعك هامساً ...

أسمعك هامساً
تناديني باسمي
في انبلاج الفجرِ
ووضوح الضياء°
وفي النور يجري
في كبد السماء

أسمعك هامساً
تناديني باسمي
في ومضة الشرارة
وتوهج النار
في شدة الحرارة°
بمنتصف النهار°
في توقدِ الجمرِ
بقلبِ المواقِدِ°
وفي شعلة الشموع°
بزوايا المعابدِ،

أسمعك هامساً
تناديني باسمي
في تفجّر الصخرِ
وتدققّ الينبوعِ
في انسياب النهرِ
بشرايين الربوعِ

أسمعك هامساً
تناديني باسمي
في يقظةِ البذور °
في تمايلِ الأغصان °
في جمالِ الزهور °
وتناسقِ الألوان °
في تدفقِ العطور °
وتناغمِ الألحان °.

أسمعك هامساً
تناديني باسمي
في شهقة المزمارة°
بضلوع القصب°
في سكرة الأوتار
بحانات الخشب°
في الصوتِ
في الصمتِ
وفي وحدة الألمان°
بأعالي القببِ

أسمعك هامساً
تناديني باسمي
في لوعة الأمسـ
تحوّل إلى غريب
في حسرة الشمس
في الأفق تغيب°
وفي قوافل الشوق
ترتاح أخيراً
في قلب الحبيب°،

ويعلو همسك

فيظهرُ رسْمك

في الحضورِ القريبِ°

ويتحوّلُ° إلى نداءٍ°

يملاً° الأمداء°

طالباً مني

أن أجيب°

بعد أن انتهت°

حروف الهجاء°،.

وفي الوعي والعطاء°
وفي الحبِ الشاملِ°
جمعتُ بكلِّ اعتناءٍ
حروفَ اسمي الكاملِ
فامتلتُ آفاقي
كلِّها برسْمِكَ
وبدلَ أن أتلفظَ
هكذا باسمي
وجدتُني أهْمسُ بِاسْمِكَ

الومضة الثانية
إلى الأعماق...

عَلَّمَنِي عَلَّمَنِي الْآنَ

لِغَتِكَ الْخَفِيَّةِ °

أَيُّهَا الْمَعْلَمُ °

عَلَّمَنِي أَنْ الزَّمَانَ

وِطَاقَاتِهِ الْحَيَّةِ °

وَحَرَكَاتِ الْأَشْيَاءِ °

بِالْوَجْهِ السَّرِيَّةِ °

وَلِحِظَاتِ الْوُجُودِ °

بِالْعَيْنِ الْبَاطِنِيَّةِ °

هِيَ أَحْرَفٌ هَجَاءُ

عِبَارَاتٌ وَجَمَلٌ °

فِي لُغَةٍ كُونِيَّةٍ !... °

عَلَّمَنِي حُبَّكَ ...

عَلَّمَنِي حُبُّكَ

في فصولِ اليباسِ

أن أعصرَ اللحظةَ

في جفافِ أنفاسي

وأسكبَ الرحيقَ

حبًّا بعمقِ كاسي

وهكذا أجمعُ

غلامي الباكرة°

عسلَ الأزمنة

في قفيرِ الذاكرة° ...

علمني حبك

في زمن الغروبِ
أن أعصرَ الظلمةَ
ووحشةَ الدروبِ
بانقباضِ ضلوعي°
وأذوقَ الوحشةَ
قانعاً مكتفياً
فارتوي راضياً
بأملاحِ دموعي

علمني حبُّكَ

في أزمنةِ السَّكونِ °
والشوقِ والحِرمَانِ
أنْ فُسِحَةَ الصمتِ
التي بين النوطاتِ °
هي نبعُ الحاني °
وأنْ بدءَ السَّيرِ
على ضيقِ دربكِ
هوفي التمرّسِ
على صمتِ حبِّكِ ...

عَلَّمَنِي حَبَّكَ
فِي الْمَوْسِمِ الْوَفِيرِ -
أَنْ جَمِيعَ الْغَلَالِ -
تَأْتِي مِنْ أَرْضِيَّ
وَأَنْ جَمِيعَ السَّلَالِ -
هِيَ فِي أَيْدِيَّ
وَعَصِيرَ اللَّيَالِي
صُبَّ فِي خَوَابِيَّ
خَمْرًا تَتَعَثَّقُ
فِي رَحَابِ مَجَالِ -
أَقْبِيَّتِي الدَّهْرِيَّةُ
تَسْكِبُهَا آمَالِي
بِأَعْيَادِي الْفَجْرِيَّةُ ...

علّمني حبّك
في زمنِ العطاءِ
وفيضِ أراضِيّ
أن أعطيَ ذاتيَ
من خلالِ العطيةِ
وهكذا أجمعُ
في أياديِ الآخذِ
كلّ ما هوليّ
ذاتيَ والثوابَ
ووسعَ أياديّ...

تعال معي

إلى عمقِ الوجودِ

تعال نَعُدْ

بلهفةِ الرجوعِ

إلى وحدةِ الينبوعِ

إلى حيثِ ينفجرُ

العقلُ والفكرُ

والإيمانُ والبصرُ

تعال نَعُدْ

إلى أولِ الفصلِ

إلى عمقِ الوجودِ

إلى وحدةِ الأصلِ ...

انفصالي عنك :
عن ذاتي الكبرى
تجسدهُ حدودي °
وتوقي ° إليك
بذاتي الصغرى
يفجرُ وجودي
واتحادي بك
يُلغي الحدودَ
ويعيدُ الوجودَ
من الكيان المغلقِ
إلى الكيان المطلقِ

كلُّ شيءٍ اتجاه
ومعبرٌ وطريقٌ
يقطعُ مداهُ
كوميضٍ كبريقٌ
من البوصلةِ
إلى القلبِ
كلُّ شيءٍ اتجاه
إلى الشمالِ
إلى قلبِ الإلهِ

في ليلِ البعاد°
والغيابِ المَجسَّم°
لا أعود أفتشُ عنكَ
في بهاءِ النور°
تومىءُ إليّ
ترنوتتَبسَّم
بل أجدكَ فيّ
وفي الهواءِ
الذي أتسَم°

عندما اكتشفتك
ينبوعاً لذاتي
وينبوعَ الينابيع°
أصبحت حياتي
متأصلةً فيكَ
وفي الربيع...

عندما انتظرتك
ولم تأت...
أغلقتُ جميعُ الأشياءِ
نوافذها من الداخل
وتأجل العيْدُ
ونامتُ جميعُ الأمالِ
في براعمِ انتظارٍ جديدٍ

خرجتُ لوحي
على صهوةِ جوادِ
أولِ شعاعٍ في الكونِ
خرجتُ مسرعاً
من عالمِ الظلماتِ
وطويتُ المدى البكرَ
وجُبتُ المسافاتِ
والبيدَ والقفرَ
وصحاري الآتي
والآن وجدثني
أحصدُ أمانِي

فأدركتُ أنك وحدكَ

الذي سبقني :

لقد كنت فيّ

وكنتَ الذي يحركني...

هل يعني غيابك
عن حسيّ حياتي؟
أنك تصلُ دوماً
في الزمن الآتي°
وأن في أعماقي° سرّاً
لم يعلن° بعدُ لذاتي؟

أصدقُ المعاني
في قصيدتي
التي أهديتها إليك°
هي المعاني البعيدة°
التي تنسكبُ
على المقلبِ الثاني
من القصيدة...°

ماذا ينقصُ
من رحاب المطلقِ
الذي فيكَ
حين أغرفُ
وسعَ كياني
من أياديكَ
ففي كل مرّةٍ
أشعر أنها :
ولادةٌ مستمرةٌ ...

بعيدٌ عَجيبٌ

فريدٌ قَريبٌ

أنت نبع العطاء

في قلبِ العطيّة°

في سَمْتِ الفضاءِ

حواليّ وفيّ

أنت كل الحكاية°

أنتَ أنتَ

في البداية والنهاية°

أنت أنتَ ذاتكَ

في وثبتي إليكَ

والمنطلق°

بقدر ما أنتَ

في أعاليكَ

وفي المطلق°

كياني محدودٌ
في رحاب دنياك
غير أن قعره
عميقٌ سحيقٌ
غيابك حفرة
والذي حفره مذك
لا يملأه إلاك

من ذا الذي يجمع

خلاصة الشجر °

في الثمرِ الأخير °؟

من ذا الذي يُحْكَمُ

الحلقةَ السُّمِّيا

بسلسلةِ المصيرِ ؟

من ذا الذي يولدُ

في نهاياتِ هذا المخاضِ .

الكونيَّ الكبير...؟

إِسْأَلُ إِسْأَلٍ

إِسْأَلُ قَدْرٍ مَا تَشَاءُ

افْتَحْ كَافَةَ الْأَبْوَابِ °

أَعْرِضْ كُلَّ الْأَمْثَلَةِ °

وَأَشْغَلِ الْكُونََ بِالْأَجُوبَةِ °

تَبْقَى أَنْتَ الْجَوَابِ °

عَلَى كُلِّ الْأَسْئَلَةِ ...

أنتَ الحضورُ
في لحظتي الخالية°
أنتَ العبورُ
إلى لحظتي التالية°
أنتَ قطب الحركة°
في أفقِ اتجاهي°
أنتَ خصبُ البركة°
في عمقِ انتباهي°

مخدر القشور°
سكرة الخارج°
تجعلني أدورُ
وغيوبةُ الخمول
على العتباتِ
تمنعني من الدخول°
إلى نواة ذاتي...

مساكنك شفافة°

متناهيّة الدقةِ

والرقةِ واللطافة°

فأنت تقيمُ

في الومضةِ

في النبضةِ

وفي خلجةِ المدى

في المقلبِ القصيرِ°

لرجعِ الصدى

وفي القلبِ الصغيرِ°

لنقطةِ الندى

جمعتَ فيّ ووحَّدتَ
بين فجر البدايات البكرِ
ونضج نهايات الفكرِ
بين انطلاقِ الآفاقِ
وقعرِ الأعماقِ
وكنتَ نبعَ العطيَّةِ
في قلب العطاءِ
وعندما حلَّت فيّ
أصبحت فيّ السماءُ !

عميقٌ قعركُ
أيها السرُّ المغلقُ
رائعُ عطاؤكُ
أيها الحبُّ المطلقُ
فأنا عندما اكتشفكُ
أعي ذاتي :
وثبة صاعدةُ
وعندما أغرف منكُ
أحقق ذاتي
بلحظة واحدةٍ ...

بين الآفاق والأعماقِ-

أكثرُ من توارِدِ

في الإيقاعِ-

هناك اتجاهٌ مزدوجٌ

إلى ذاتِ القاعِ-

في عمق مراميكِ°

هلاً أدركتَ

نقطة التلاقي°

في السحيقِ

الذي هو فيك ° ؟

حضورك الراسخُ

في قوامِ ذاتي

يجذّرُ حاضري

بأرضِ البقاءِ °

وثريةِ الآتي

وكرمِ يديكَ

يخزّنُ باعتناءِ °

بأهراءِ ذاكرتي

مواسمَ الماضي

وجميعَ غلاتي...

إن تجلّيك

على قِمة ذاتك

ليس هو النهاية°

- في المقلب الثاني

تموت الكلمات°

بل هو البداية°

لغير ذلك الفاني

من امتداد الذات°

سرّكَ فيك°

يعبر أقاصيك°:

إنه اتجاه°

لا تراه°

إنه رغبة°

في إله°...

الومضة الثالثة
في الشوق الكبير...

تعبتُ عينايَ

تحديقاً بمحياكَ

خلف براقعِ النورِ°

وهاهي يدايَ

تنتفحُ للقياكَ

كتفتقِ البذورِ°

أنت تحركُ يَدَيَّ

وأنا في يديك°

أنت دائماً فيَّ

وفي شوقي إليك°

ومضة من حدقتيك °
أنهت ليلَ انتظاري °
فسبقني قلبي إليك °
قبلَ أن يبدأ نهاري ...

كلما اقتربتُ منكُ

كلما اتسعتُ أكثرُ °

أفاقُ سيركُ

وكلما غصتُ فيكُ

كلما بُعدتُ أكثرُ °

أعماقُ قعركُ

وأبعادُ أقاصيكُ °

فلا سيركُ ينجلي

فهو دوماً مغلقُ °

وأنا متّيمٌ فيكُ °

وأعشقُ المطلقُ °

شوقي إليك
يجعلُ المدى أقربُ
لهفتي إليك
تجعلُ الزمنَ أعذبُ
وثبتي إليك
تجعلُ اللحظةَ أخصبُ
أنت في المدى
في اللحظة وأبعدُ
وأنا كلما غصتُ فيك
أنضجُ أتوحدُ
وأظلُّ أحتويك
وأصبحُ أسعدُ ...

عندما لمحتُ
وميض حدقتيكُ
خلفَ براقعِ النورِ
أصبحتُ لتوي
أسيراً لناظريكُ
كطيرٍ متلهّفٍ
يسعى وحدهُ
لينقرَ قيدهُ
ويطيرَ إليكُ

شوقي إليك

كنغمةٍ مرصودة°

تمخرُ المجال°

والمادةَ المحدودة°

وتعبرُ الخيالُ

وتُصبحُ أنشودة°

في عالمِ الجمال°

والأرضِ الموعودة°

أنا جنينٌ بعدُ
بأحشاءِ الغُربةِ
لَمَّا يُبصرُ النورُ
يَربطني بكَ الوعدُ
رباطَ القربى
عربونَ العبورِ
وشوقي إليكِ
وسعَ الحياةِ
وسعَ الدهورُ
اجعلني أنقرُ
قشرةَ ذاتي
اجعلني أولدُ
في قلبِ الحضورِ

أجنحةُ أشواقِي

تتجهُ دوماً

صوبَ أهدابِ آثارِكِ

المضمّخةِ بالعطورِ

كما تنطلقُ

أفواجُ النحلِ

صوبَ الحقولِ

المأىِ بالزهورِ

ويتجمعُ حنيني إليكِ

في قلبي الأسيرِ

كما يتجمعُ

رحيقُ الزهرِ

في قلبِ القفيرِ

أبقِ لي من ذاتي °
ذلك الجزعَ النحيل °
الذي يحملُ آهاتي °
وبرعمَ شوقي إليك °
ويجعلني أنحني
منفتحاً قبلَ الرحيل °
زهرةً بين يديك ...

سكرتي الوحيدة°
في غربتي البعيدة°
شوقي إليك°
وهي في الحقيقة°
سكرةٌ عتيقة°
بنورِ عينيك°
لأنك من بعيدٍ معي°
وأنا طفلٌ لا أعي°...

من عالمِ الأشياء °
وأنا فيه أسير °
أنسجُ لي أجنحة °
أعودُ بها إليك °
حيث ينتهي المصير °
كما تنسجُ دودةُ القزِّ °
من خيوطِ الشرنقة °
أجنحةً من حرير °
وتطير °

أنتَ من هناك
من خلفِ الزمانِ
عطاءً لي منذُ الأبدِ
وأنا من ههنا
من شاطئِ الآنِ
توقُّ إليكَ
من خلفِ الجسدِ...

هذه صلاتي :

إجعل يقظتي

أن تكون°

كالجمر في المواقد°

كالنار في الأتون°

كخشوع المعابد°

هاقد بدأ نَفْسِي
يلوثُ شفافية الرؤية°
والمسافةُ
أصبحتُ متشعبةً
بلهائِك
أيها الحضورُ الرفيقُ°
حطمُ من جهتكَ
الحاجزَ الرقيق
فأتنفسكَ من جهتي
وأُفيقُ...

ألمحُ وجهكَ يمرُّ بسُرعة°

خلفَ نافذةِ اللحظة°

تاركاً في قلبي لوعة°

كسناءِ البريق°

في حدقةِ لمعه°

كانسيابِ الرقةِ

في كرجةِ دمعة°

كالتواءِ مفاجيء°

في عنقِ بجعة°

شوقي إليكَ يحرقُني

ويُوقدُ في النارِ °

ولهيبُ ذاتي يسبقني

ويُذِيبني الانتظارِ °

وأنتَ لا تأتي

إلا في الوقتِ

الذي فيهِ

تستهلكُ نفسي

جميعَ غلاتها

أي عندما تفرغُ

ذاتي من ذاتها...!

ها هو قد وَصَلَ
فافتحوا بوجهه
أبوابَ الداخلِ
وشرِّعُوا كِيَانَكُمْ
لأستقباله
على المداخلِ

من كثرة ما حدقتُ بالفجرِ

منتظراً قدومك°

من قلبٍ وثُوقي

أصبحَ ضوءُ الفجرِ يجري

من عيونك°

في عروقي

وبما أنك لي°

عطاءً مطلقاً

لا يبالي

ومجانيةً تتخطى

حدودَ الخيالِ

أصبحَ فجركَ يَبْزُغُ
من جبالِي
وأصبحَ نوركَ
يَنفِذُ من خِلالِي
وبدأتُ أُسْكِرُ
بِخِمرَةِ قِدمِكَ
قَبْلَ قِطافِ كِرومِكَ
وبدأتُ سُكرتِي
تَنشُدُ أَغانِيكَ
وتَحُثُّ الكونَ
على أن يسكرَ فيكَ ...

كَلِّمًا اتَّسَعَتْ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ

بِحَارُ الْبَعَادِ

كَلِّمًا ازْدَادَ

أَكْثَرَ إِلَيْكَ

شَوْقٌ فُؤَادِي

فَلَا أَنْتَ تَضَعُ

لِلْبَحَارِ يَوْمًا

شَطَّانَ ...

وَلَا أَنَا أُرْتَوِي

مِنَ الشَّوْقِ

فَأُظْلَمُ دَوْمًا

عَطْشَانَ ...

الومضة الرابعة
ترانيم في معبد اللحظة

أنتَ خلفَ أشعاري

أنتَ خلفَ أشعاري

كما الشمسُ والشعاعُ

أنتَ خلفَ أفكاري

كما الحِبرُ واليراعُ

أنتَ خلفَ أقداري

كما الهمسُ والأخبارُ

أنتَ خلفَ إنجاري

كما الشطُّ والبحَّارُ

أنتَ قُطْبُ أسفاري
كما الجفنُ والأنوارُ
أنتَ قُطْبُ أنظاري
كما الليلُ والمنارُ
أنتَ حُلمُ أوتاري
(يُدَوِّنُ) أغنياتُ
أنتَ سرُّ أسراري
كما البذرُ في النواة ...

اجعني أناديك

بصمتي بصوتي

ووَحي كلماتي

إجعلني أناجيك

بِوجدِي بلهفتي

وعمق نبضاتي

إجعلني ألاقيك

بوسعِ رغبتِي

وصفاءِ حدّقاتي

إجعلني أوافيكَ

في معبدِ لحظتي

وفسحةِ أوقاتي

في حلمي وشوقي

وغايةِ أمنياتي

واجعلني أخيراً

أكتملُ فيكَ

وأسكبُ نضجَ ذاتي

ومواسمَ الآتي

في أياديكَ...

صمتُ الكائناتُ °
في فجرِها البكرِ .
صمتُ اللحظاتُ °
بالآنِ والذكرِ .
وصمتُ الذاتُ °
في ومضةِ الفكرِ .
مداخلُ ضروريّةُ °
لأناشيدك الكونيّةُ

نَبْضُكَ يَصِلُنِي
من وراءِ حدودي
من أُنْفِ جُذُوري
مع دَفْقِ وجودي
فَيُزِجُ قَلْبِي
صَدَى السِّرِّ
وَيُعْلِنُ نَبْضِي
أَنْ السِّرَّ بِالْحَبِّ

من أين لي
أن أنطقَ باسمكَ
ولو بطريقةٍ بدائيَّةٍ
فيولدَ الوعدُ
مادامَ الزمانُ
لم ينتهِ بعدُ
من كرِّ حروفه
الهجائيَّة°

أحسُّكَ دوماً

قادمًا

بقلبٍ كلِّ لحظةٍ

زيارتكَ قصيرةً

كوميضِ النورِ

وعيوني

براعمُ صغيرةٍ

لم تتفتحْ بعدُ

على شمسِ الحضورِ ...

كيفَ تريدني
أيّها الحبُّ الوحيدُ
واللامتناهي
أن أرتِّلَ لكَ
نشيدَ العيدِ
بشفاهي
فأنا طفلٌ صغيرٌ
وعمرٌ حياتي
لا يُضاهي
عُمرَ النَّفسِ القصيرِ ؟

نشيدُ رُوحِي
يرفعُ إِلَيْكَ
رُوحَ الكونِ
كلَّ صباحٍ
كما يُصعِدُ النايُ
من صَدْرِ القصبِ
رُوحَ الرِياحِ

عَلَّمْتَنِي فَصُولُكَ
أَنْ عَلِيٍّ أَنْ أختارُ
بَيْنَ أَنْ أَبْقَى زهرةً
ثُمَّ أَذْبِلَ وَأَنْهَارُ
أَوْ أَنْ أَمُوتَ
فَأَصْبِحَ ثَمَرَةً

علمني صيفاًك

أن زمنَ الحصاد°

ونضجِ المواسم°

هوثمرةُ الرقاد°

والبزارِ النائم°

عَلَّمَنِي خَرِيفُكَ
أَنْ ثَمَارَ الْيَوْمِ
هِيَ زَهْوَرُ الْبَارِحَةِ
وَأَنْ أَشْوَاقَ الْقُلُوبِ
هِيَ الَّتِي عَبَرَتِ الصُّدُورَ
وَأَصْبَحَتْ أَجْنِحَةَ ...

عَلَّمَنِي شَتَاوُكَ

أَنَّ الرِّيحَ

تَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ

وَأَنَّ سَكْرَةَ الْعَوَاصِفِ

تُؤَمِّدُ دَوْمًا

لِسَكْرَةِ الْعِنَاقِيدِ

علمني شتاؤك
أن نظامَ الكونِ.
لا يسيّرُ دوماً
على نفسِ الوتيرة
بل إن تربيةَ النظامِ
بحاجةٍ كبيرةً
لكي تُخَصِّبَ الحياةَ
إلى الغيومِ والعواصفِ
والأمطارِ الغزيرةِ
إلى الرعودِ والصواعقِ
والسيولِ الوفيرةِ

أنهيتُ نشيدي
في آخرِ المساءِ °
ولمّا رأيتُ
أن أوتاري
غابتُ عنها
أصابعُ يديك °
هربتِ المعاني
من كلماتي
واتجهتُ إليك °
وعندما عدتَ إليَّ
وملأ حضورُكَ كياني
غاب عني النشيدُ
وأصبحَ حضورُكَ
هو اللحنُ الوحيدُ ...

لا تتساءلُ أبداً
عن مصدرِ الحزنِ
في قلبِ الحانيِ
من عودِ الطربِ
إلى قيثارةِ العبادةِ
إنه وترُ الموتِ
الذي بدأ يهتزُّ
مع انفصالِ الولادةِ،

عندما أدركتُ
أن قيثارتكَ
هي التي تعزفُ
من خلالِ الكائناتِ°
أحكِم الإيقاعُ
وتوحدُ النعمَ°
واكتملت قصيدتي
وانتهى القلمُ
وأصبحَ الكونُ عيداً
دون خاتمة°
وأصبحَ الوجودُ نشيداً
أنا فيه اللازمة°

ها قد أصبحتُ قيثارة°

وقد بدأ العيدُ

شدَّ لي الأوتارَ

وابدأ بالنشيد°

فبراعمُ أصابعي

لما تنفتحُ

فأنا بعدُ وليدٌ...

لقد خلقتني
طرياً كالوليد°
أوصالي ضعيفة°
وكي أتقنَ
لك النشيد°
شددتَ أوتاري
وأوتاري نحيفة°
لقد جبلتني
من لحمٍ ودمٍ وعَصَبٍ°
ألم تدري
أن نغمتكَ تجرحُ صدرَ
العصبِ...؟

حياتي ترجع°

لألحانِكَ الموعودة

الخلقُ حدُّ

والموتُ حدُّ

وأوتارنا

بين الحديدِ

مَشْدُودَةٌ

الومضة الخامسة
صعودٌ... وتجلُّ...

هو شوقك إليَّ
يعبرُ الدهورَ
ويحملُ النورَ
إلى حدقتي
هي نازكُ الخَفِيَّةِ
تُنهي البُعَادَ
وتُبطلُ الهجرَ
فتخرقُ السوادَ
وتُوقدُ الفجرَ

° كياني وفكري °

° قلبي وروحي °

° حبي وعمري °

° سلالمُ إليك °

وعند بلوغي

الدرجة الأخيرة °

من نضج ذاتي

عند شمسِ الظهيرة

أصبحُ ملكَ يديك °

عندها يتوحدُ
شوقكَ إليَّ
وشوقي إليك
فارتمي هائماً
كموجة من نورٍ
في عمقِ فضاءك
وبدلَ أنْ أنوبَ
في لجةِ سماك
أكبرُ وأكبرُ
وأخذُ كلَ مداك ...

أمواجُ الضوءِ
تتكسّرُ بسكونٍ
منذ آلافِ السنينِ
على شطآنِ الجفونِ
فتتركُ على نقاءِ

الحدقاتِ

بعضَ الومضاتِ
من روعةِ البهاءِ
لوجهك الآتي...

تَحْجُبُكَ عَنِّي

ضبابةُ الأشياءِ اليوميَّةِ

فأضيقُ في المتاهاتِ

في الإلهاءِ

وعندما ألمحك

ضياءُ الضياءِ

يُعكسُ نقاءَ ذاتي

على الأشياءِ

الصمتُ كان

قبلَ التلّفظِ باسمكَ

يحوي بداخله

بطريقةٍ سرّيةٍ

محاولاتِ التهجئةِ

لحروفهِ الخفيّةِ

والصمتُ صارَ

بعد التلّفظِ باسمكَ

يملاً الزمانَ

من الداخلِ

أصداءً سماويّةٍ

في سعي إليك

كم طويّت من مسافات

وأصبحت في داخلي

تزيد التوثبات

ولماذا تهرب الآفاق

مني إليك

عندما ابدأ أحقق

بعينيك؟

ولماذا هذا البون؟

فهل تُريدني

أن أصبح بحجم الكون

قبل أن أرتمي

بين يديك؟!!

أخرجُ من ذاتي إليكَ

على ضوءِ عينيكَ

فلا أضيعُ ...

كما يخرجُ الراعيُ

من كوخه الصغيرِ

إلى المراعي

مع القطيعِ

على ضوء عينيكَ
وعلى جناحِ الآتي
أعبرُ الكونَ إليك
على نضجِ ذاتي
وعندما ينتهيَ العبورُ
وتأتي أنتَ إليَّ
يخلعُ عنه النورُ
رداءه والثوبُ
ويتفجّرُ الحضورُ
من كلِّ صوبٍ ...

عندما أعودُ إليكَ
في آخر عمري
أضعُ بين يديكَ
حصادَ فكري
وغلاتِ الزمانِ
وزهورهُ المفتَّحةُ
كما تحملُ الفراشةُ
مهرجانَ الألوانِ
على الأجنحةِ

ما زالَ

الفجرُ الأوَّلُ

للكونِ الكبيرِ

يتابعُ بزوغَهُ

من عمقِ أعماقي

وأفقِ حياتي

وعندما تطلُعُ

الشمسُ الكونيَّةُ

من مشرقِ ذاتي

ينتهي الأَمَسُ

ويعلو الهمسُ

ويبزغُ

فجركَ أنتَ

من قلبِ الشمسِ ...

بين السقوطِ

في قعرِ (الأنا)

والملاشاة°

وبين التسامي°

إلى قمّةِ ال (أنتَ)

والملاقاة°

قصةُ الوجودِ

والتنامي°

واكتمالِ الذاتِ ...

أنا أولادُ

في (بيت لحم) كلَّ لحظةٍ ...

من أيِّ أمِّ ؟

وأيِّ أحشاء ؟

من أيِّ رحمٍ

من أيِّ ماءٍ ؟

وكلما تنامتْ بي الأعضاءُ

وكثُرَتْ

كلما اتسعتْ

لي الأحشاءُ

وكبُرَتْ

هناك مهاجرٌ فيّ

يعبرُ دوماً أفاصيَّ

على أوتارِ وجودي

يُغني

هناك كائنٌ غريبٌ

يولدُ من خلالي

أكبرُ منِّي...

فَجِرَّهُ...

فَجِرُّ ذَاتَكَ

من الداخل°

خُلُقًا وَإِبْدَاعًا

وَكُنْ أَنْتَ الشُّعَاعَا

كَمَا النُّوَاةُ

فِي الذَّرَّةِ°

كَمَا الشَّمْسُ

وَالْمَجْرَّةُ...°

فجّر...

فجّر ° قلوبَ المقالعِ

التي فيك °

وهندسِ الكونَ

معبداً يحويكُ

أنتَ الأساسُ

أنتَ البناءُ

أنتَ القوةُ

في المداميكِ °

أنتَ المهندسُ

أنتَ الساكنُ

أنتَ القيّدُ

في أعاليك ° ...

فلنوسِعَنَّ الكونَ °

إلى مطلقِ مداهِ °

هلاً وَعَيْنَا يوماً

أنا دوماً

نبقى (جنيناً)

في قلبِ الإلهِ ؟ ...

هل في عمقِ الكائن°

جرحٌ ينزِفُ°

أم وترٌ يهتِفُ

أم فجرٌ ينبلجُ؟! ...

عندما نحِيقُ

بمنظارِ الرغباتِ

تُضخِّمُ الشيءَ شهوتنا

ويفقدُ الحبُّ روعتهُ

فيصبحُ الشيءُ عالمنا

ويفقدُ الكونُ قيمتهُ ...

أنا لا أهدقُ
بوجهٍ فارغٍ
كوجهِ الأعبوبةِ
بل بوجهٍ مشدودٍ
ينتظرُ أعجوبةً...

أُحْفَرُ ، أُحْفَرُ

بِعْنَادٍ وَثِقَةٍ°

قَشْرَةَ الْمَحْسُوسِ°

و(الْأَنَا) الضِّيْقَةُ°

تَخَطُّ الْمَسَافَةَ

وَالشَّكْلَ وَاللَّوْنَ°

تُحِسُّ ذَاتَكَ حَرًّا°

وَبِحَجْمِ الْكُونِ ...°

وأحسستُ بكَ
في صُراخي بالبنائينُ :
وَسَعُوا
وَسَعُوا لي
حدودَ البنيانِ °
أبعدَ ممَّا ترونَ °
إن حدودَ معبدي
هي حدودُ الكونِ °

إليكم سرّي

وهوفي قلبي

دفين°:

إنا آلهة

في طور الجنين! ...

لماذا ؟

لماذا لا أفجرُ

الكون الذي فيّ ؟ !

لماذا ؟

لماذا لا أفجرُ

الكونَ الذي فيّ

من الداخل°

وأجسدُ بالكامل°

قوای الباطنیة

وبومضةٍ واحدةٍ°

كونيةٍ فجريةٍ°

أزيلُ الظلامَ

وعتمةَ لياليِّ

وأنيبُ دربي

وأرضي وعالمي

حتى أقاصيِّ

واستكشفُ آفاقي

باتجاهِ أعماقي

وأسكنُ قممي

وسمتَ أعاليِّ

أنا لستُ في الكونِ-

بل الكونُ

هو الذي فيّ !

لماذا؟...

لماذا لا أفجرُّ

الكونَ الذي فيّ؟

الحاضرُ عيدي
يتجددُ كلَّ لحظةٍ
ويختزنُ مواضيَّ
لماذا؟
لماذا لا أعصرُ
بكلَّتي يديَّ
كلَّ كرومِ الأزمنةِ
وعناقيدِ الأيامِ
وأصبُّ خمرتها
في خوابيَّ

وأسكرُ حراً
السكرة الكبرى
بكأسِ أمانِيَّ
أنا لستُ يوماً
خارج العيد°
فالكرومُ الكونيَّة°
والمعاصرُ والخمرة°
والكؤوسُ الفضيَّة°
وكلُّ المواعيد°
في أغانيّ

أنا لستُ بسكرانٍ

بل السكرَةُ (الكبرى)

هي التي فيَّ

لماذا ؟

لماذا لا أفجّرُ

الكونَ الذي فيَّ ؟!....

الومضة السادسة
هدايا العيد الأخير...

عندما تذوّقتُ
خموركَ المعنّقة°
في أقبية الداخل°
عادتِ الكرومُ
تنطوي على ذاتها
تفتّشُ عن ما يدوم°
في قلبِ سكرتها
وأصبحتِ العناقيدُ
تعصرُ أفئدتها
وتهيئُ خمرتها
هديةً للعيدِ...

قبل أن أصل إليك
وأرتمي بين يديك
قطعتُ بريّة الأشياء
عبرتُ زرقه السماء
وجمّعتُ في حدقتي
عالماً من الصفاء
هديةً لعينيك

دعني أقدم ° لك °

واضعاً بين يديك °

ضمّة (باقة °) جردية

من زهور برية °

برعم ربيعها

أورق ولاح °

أزهر وفاح °

ذبّل ونفذ °

ولم يره ° أحد... °

عندما أرفعُ إليكَ ...
عندما أرفعُ الأرضَ
إليكَ بين يديَّ
هديةً لبيديك°
يكبر حجمُ قلبي
وتنبضُ الأرضُ فيَّ
وتخفقُ إليكَ ...

الومضة السابعة
في الشوق الكونيّ

أنتظركَ متلهِّفاً

خلفَ هدوءَ الجِماءِ

وصلابيةِ الأرضِ

ومناعةِ الأجسادِ °

أنتظركَ متلهِّفاً

خلفَ براقعِ الأشياءِ °

خلفَ الشكلِ والخطِّ

وشوقِ الحركةِ

لما بعدَ التخطيِّ

أنتظرُك متلِّهفًا
خلفَ كلِّ ومضةٍ
تمخرُ بحرَ الظلامِ
خلفَ كلِّ نبضةٍ
تحملُ شذَى الأحلامِ
أنتظرُكَ متلِّهفًا
خلفَ كلِّ لحظةٍ
تسقطُ إلى الأمامِ

أنتظرُك متلهفاً
بماضيِّ بحاضريِّ
بكلِّ قوى ذاتي
بحلمي بخاطري
وكلِّ وسعِ الآتي
أنتظرُك متلهفاً
طوالَ مدى عمري
وعمري أنا فانٍ
ولكنني أنتظرُ
بمطلقِ كياني
وفي ثنايا صمتي
خلفَ كلِّ لفظةٍ
وفي أفقِ الكلامِ ...

أَنْتَظِرُكَ مَتْلَهْفًا
مِنْ حَدَقَةِ الْفَجْرِ
تَلُوحُ تُنْبِجِسُ
فِي وَهْجِ الْإِلْتِمَاعِ
وَمِنْهُ تَنْعَكِسُ
عَلَى وَجْهِ الشُّعَاعِ
أَنْتَظِرُكَ مَتْلَهْفًا
تَشَعُّ عَلَى وَجْهِ
بَسْنَاءِ الضِّيَاءِ
كَمَا أَنْتَظِرُكَ
تَهْوِي وَتَزْدَهِي
عَلَى وَجْهِ الْأَشْيَاءِ...

أنتظرُكَ مُتَلَهِّفًا
في بدءِ كلِّ نظرةٍ
وفي شوقِ العيونِ
للأبعادِ للنورِ
بطلَّةِ الجمالِ
وأسرارِ الحضورِ
أنتظرُكَ مُتَلَهِّفًا
في أفقِ الرؤيةِ
خلفَ رفِّ الجفونِ
قبلَ حصولِ اللقيا
في تُخومِ الظنونِ

أنتظرك متلِّهفًا

تتفتقُ حيًّا

من قلبِ البذورِ

وتثبُّ صُعدًا

إلى حيزِ النورِ

وتشعُّ بالعطاء

وألقي الحضورِ

وتتموفي الأصولِ

وفي لونِ الاخضرارِ°

وتراكمِ الطولِ

ثم تترسخُ

بصلابةِ الجذوعِ

حاملاً كنهَ الأرضِ°

طالباً لها الرجوع
إلى مصدر الأنوار°
إلى أول ينبوع°
ثم تتبرعمُ
وتظهرُ بالأزهار°
متجلياً بها
في رابعةِ النهار°
ثم تتجمعُ
بنهايةِ المطاف°
بتلافيهِ الثمار°
طالباً منه القطاف°

إنتظرْتُكَ إِذَا
فِي عَالَمِ النَّبَاتِ
فِي أَوَّلِ الظُّهُورِ
لِوَثْبَةِ الحَيَاةِ
فَوَجَدْتُكَ مَعاً
فِي أَعْمَاقِ البُذُورِ
وَفِي قَلْبِ النَّوَاةِ !

الوجود°

يَعْبُ بلا حدود°

وأنتَ مَرَكَبٌ صَغِيرٌ°

أُفَلَتَ من البداية°

فَرَفَعَ مِرْسَاةَ المصير°

وسارية الضمير°

طلباً للهداية°

في كلِّ مرَّةٍ

نحنُ في هُجرةٍ مستمرَّةٍ

انظروا وجهَةَ الأشواقِ °

اقروا بطاقةَ السفرِ

نحنُ دوماً في فِراقٍ °

وعلى أهبةِ السفرِ

أَنْتَى حَلُّنَا

وَمَهْمَا كَبْرُنَا

وَامْتَدَّ الْمَصِيرُ

نَبْقَى دَوْمًا

دَاخِلَ حَشَانَا :

فِي الْكُونِ الْكَبِيرِ

من يُوسِّعُ

أعشاشَ العصافير

عندما تطيرُ،

فيتحوَّل الفضاءُ

في ثانية°

إلى أحشاءٍ ثانية°؟

وحدهُ حلمُ الشرنقة°

عبرَ الحدودَ الضيقة°

فتجسّدَ انفتاحاً

وتحوّل جناحاً

X X X X

وبعد أن تخرُجَ الشرنقة°

من بابها الصغير°

وتطير...°

تصبحُ القبةُ الزرقاء°

سقفاً من حرير°

لسماعِ لحناكَ

بأعماقي

آه كم طالَ الانتظار°

أكثرَ من انتظارِ القصبِ °

على مجاري الأنهار °

كي يُصنَّعَ المِزْمَارُ °

في جاذبيةِ الكونِ °

والغوصِ في الأعماقِ °

في انبعاثِ الضوءِ °

والحنينِ إلى الآفاقِ :

إشارةٌ من يديكَ

تشدني إليكَ

بيئُك

بيتٌ حميمٌ

كوني فسيحٌ

تُوصلُ إليه

كلُّ اتجاهاتِ الدروبِ

نهارُك

نهارٌ طويلٌ

كوني فسيحٌ

لا يعرفُ العصرَ والغروبَ

قلْبُك

قلبٌ كبيرٌ

كوني فسيحٌ

تصبُّ فيه

كلُّ خفقاتِ القلوبِ ...

أشعرُ بكَ

في اختلاجِ اللحظةِ القادمةِ

إلى قلبِ الحاضرِ

أشعرُ بكَ

في سرعةِ اللحظةِ الهاربةِ

في سحرِها العابرِ

أشعرُ بكَ

في روعةِ الحضورِ

وعمقهِ الهادرِ

أنتظرُ مجيئَكَ
في لهفةِ الشوقِ الكبيرِ
وفي الخفقاتِ
والمحُ فجرَكَ
ينبلجُ في الضوءِ المنيرِ
في أفقِ الكائناتِ
وأرى شمسَكَ تسطعُ
في ظهيرةِ اللحظاتِ
كما تسطعُ الشمسُ
في المجراتِ

أنا طيرٌ مهاجرٌ
أعشاشي هناك
في البالِ في الخاطر°
وراءَ الأفلاك°
خلفَ حدودِ الشكلِ
وراءَ المقابر°
في عمقِ الذاكرة°
خلفَ المناظر°
في الحنينِ في الشوق°
في الحلمِ الذي فوقُ
وراءَ هذا الكونِ
الضيِّقِ العابرِ...

أولُ شعلةٍ
صعدتْ في الكونِ
كانت فيه
دون أن تَدري
أنها على دربكَ
أولُ خفقةٍ
من شوقي
إلى قلبك ...

شوقي إليك

يجلو صفحة الأشياء

من جانبي °

وشوقك إليّ

يجلو صفحة الأشياء °

من جانبك

وعندما تصبح

حداق الأشياء °

شفافة

أحسُّ عن قريب °

بنظراتك

أيها الحبيب...

هناك سباقٌ في داخلي

بين قلبي وفكري

لِلوَصُولِ إِلَيْكَ

غَيْرَ أَنْ تَوَقِّيَ الطَّلِيقَ

وَجَرَحِيَّ الْعَمِيقَ

يَفِيضَانِ وَيَعْبِرَانِ

حُدُودَ عَقْلِي

وَمَسَاحَةَ كِيَانِي

وَيَصِلَانِ إِلَيْكَ

بِالشَّوْقِ بِالخَفْقَانِ

قَبْلَ فِكْرِي وَبِرَهَانِي.

في عرشِ السَّماءِ °

تردُّ الأرضُ °

عربونَ وفاءٍ °

عطايا الأُمسِ

في الترابِ °

وترفعُ الهدايا

إلى الشمسِ .

في السَّحابِ .

يبدأُ الفراقُ °
من أوّلِ الولادة °
بانفصالِ المصير °
وينتهي النزاع °
على الوسّادة °
بالفراقِ الكبير °

إذا أردتم °
أن تستقوا الماء °
من عيون الداخل °
حطّموا الضيق °
في صدر الأباريق °
وجوّبوا الأرجاء °
وصبّوا آنية أكبر °
واجعلوا حجم الجرار °
عند مصبّ العطاء °
بحجم البحار °
وأكثر ° ...

إِصْنَعِ جَنَاحَكَ

مَنْ عَذَابِكَ

إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَطِيرَ

فَمِنْ أَحْشَاءِ الشَّرْنَقَةِ

يُولَدُ خَيْطُ الْحَرِيرِ

الومضة الثامنة

أطيرُ نحوكَ من كلِّ الجهات



أَحْمِلُ فِيَّ
مِنْذُ وِلَادَتِي
وَبِكُلِّ سِرِّيَّةٍ
بِدَاخِلِ حِدْقَتِي
الْمَلَامِحِ الْغَجْرِيَّةِ
لِوَجْهِكَ الْجَمِيلِ
وَعِنْدَ كُلِّ رَفَةٍ
مِنْ جَفْنِي
وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ
أَمْسُحُ بِلَطْفٍ
عَنْ صَفْحَةِ الصُّورِ
تِرَاكُمَ الْعَادَاتِ
وَالْغُبْرَةَ الْأَرْضِيَّةِ

لذلك وجهك

دوماً أمامي °

في يقظتي

في رؤيتي

في غفوتي

ومنامي

من كثرة ما سمّرتُ

عينيَّ

بناحيةِ قدومك

ووهجِكَ الآتي المضيءُ

وتلهّفتُ لوصولكَ

وأنتَ على وشكِ المجيءِ °

وأصبحتُ سرعةُ اللحظة °

كانّها وزنٌ بطيء °

تحوّلتُ جميعُ الجهات °

مسالكِ لمجيئِكَ

وأصبحتُ كلُّ الكائنات °

مُحَبَّبةً لديَّ

لأنّها تلقاكَ

وَتُوصِلُكَ إِلَيَّ

فَتَفْتَحُنِي عَلَى مَدَاكِ

وَتُحِلُّكَ فِيَّ ...

بذور ذاتي

لا تُزرعُ

إلا في عمقٍ تربتكِ

وأصولُ رغباتي

لا تثبتُ

إلا في صلابةِ أرضكِ

وجذوعُ كياني

لا تنطلقُ

إلا في رحابةِ جوِّكِ

وبراعمُ أغصاني

لا تُورقُ

إلا في دفءِ فضائكِ

وأكمامُ أزهارِي

لا تفتَحُ
إلا في وهجِ ضيائكِ
وقلوبِ أثماري
لا تنضجُ
إلا في علوسمائكِ
أنتَ جوي ومائي°
أنتَ أرضي وسماي°
أنتَ ألفي ويائي°
خَلَقْتَنِي كنبضةٍ
تَخَطَّتْ° بلطفٍ
حدودَ فؤادكِ
ثم تحوّلت°
بفعلِ بُعادكِ

طائراً أُفْلِتَ
من بين يديك °
غير أنني أحومُ
بعمقٍ وجودي
دوماً حوالياً °
فقد رَسَمْتَ
خطوطَ حدودي
أجنحةً إليك ° ...

عندما خَفَّتْ

في جو وجودي

حرارةُ حضورِكْ

بفعلِ تَرَاكُمِ

غشاوةِ الأشياءِ °

أصبحتُ ° نفسي

كمرآةٍ تتبَقَّعُ °

كوحشةٍ تتوسَّعُ °

غير أن حبَّكَ

حوَّلَ الغيابِ °

بلقطةٍ سرِّيَّةٍ °

إلى فِعْلِ انجذابِ °

فتحوَّلَ العذابِ °

هو نفسهُ طريقاً للإيابِ ...

لحرיתי يُنبوعٌ

منكَ ينفجرُ :

فلا الفجرُ

أسيرُ في الأفقِ

ولا اللونُ في الشفقِ

ولا الصوتُ

في الوترِ

ولا الطيبُ

في الزهرِ

ولا النورُ

في الهدبِ

ولا الخفقانُ

في القلبِ....

أنا عابرٌ ومهاجرٌ
أنا مانتٌ لا مَحَالَةَ°
غير أنني أيضاً مغامرٌ°
أعاندُ الاستحالة°
وهكذا قبلَ الرحيل°
أَمَنْتُ ليَ البديلَ:°
فَلِكِي أحظى
بعربونِ الخلود°
رسَّختُ بقائي°
بقلبِ اللحظة°
وقوامِ الوجود°...

كيف تُريدون°

أن أحكمَ الإيقاع°

بين الولادةِ والبداية°

بين الموتِ والنهاية°

وأشدَّ أوتارَ الوجود°

مالم أزوج°

شوقَ كياني

بالخلود؟

من أدخلَ في خلدِكَ

أنَّ حركةَ التساميِّ

لها حدودٌ؟

ومن خدعَ عقلَكَ

في غفلةٍ لياليكِ°

فنصبتَ حجارةَ مساحةٍ

في أراضيكِ° ...،

وجعلتَ فيها

سياجاً للوجودِ؟

وعيتُ ذاتي
أعْبُرُ رحابك
أمخرُ عُبَابَكَ
كما المركبُ
في عرضِ المحيطِ
دوماً ألاقيك
مركبي يقول :
إنه هنا...
شراعي يجيب :
وجْهتي هناك
يا حاملَ الاثنينِ
وجِدِ الوجْهَتينِ
فالإثنانِ فيكَ...

أَفْتِشْ عَنْكَ

أَفْتِشْ عَنْكَ

فِي سَحِيقِ الْمَوَاضِي

وَقَارَّةِ الْبَدَايَاتِ

خَلْفَ تَخْوِمِ الْأَرَاضِي

وَمَنْبَتِ الذَّرَاتِ

أَفْتِشْ عَنْكَ

خَلْفَ رَمَالِ الشُّطِّ

وَصَحْرَاءِ الْأَقَاصِي

وَأَفَاقِ التَّخْطِيِّ

أَفْتِشْ عَنْكَ

تحت الكونِ الأصغرِ... .

أفتشُ عنكَ

فوق الأرضِ والفضاءِ °

والكواكبِ والشموسِ °

ومنابعِ الأضواءِ °

فوقَ الأفلاكِ والنُّجمِ.

فوقَ سمْتِ الأعالي

والمجّراتِ والسَّدْمِ.

أفتشُ عنكَ

فوقِ رحابةِ الأمداءِ °

وشساعةِ الأرجاءِ °

أفتشُ عنكَ

فوقَ الكونِ الأكبرِ... .

أفتشُ عنكَ

في قارّة الداخل°

وعمقها الهادر°

خلفَ تخوم الخيال°

وحدود المصادر°

وفي المقلب الثاني

من أفقِ خاطرٍ

أفتشُ عنكَ

في بزور الانبثاق°

في باطنِ الباطن°

وملكوتِ الأعماق°

أفتشُ عنكَ

خلفَ منابعِ الفكر...°

قبل أن أراك ...

قبل أن أراك ...

من عيون الزهور°

في رؤوس الشجر°

كم نامت ...

بأرضي البذور°

في حنايا الحجر°

وكم عانيتُ

من لوعة الغياب°

في ظلمة الأعماق°

وأحشاء التراب°

وكم قاسيتُ

تلهفاً للظهور-

من عناء الصعودِ
وتوثُّبِ جذوري
قبلَ أن أراكَ
كم عانيتُ
في رحلةِ رجوعي
من التسمُّرِ بالعلَى
وانتصابِ جذوعي

خَلَقْتَنِي مَحْدُوداً

صَنَعَ يَدَيْكَ

وَلَكِنَّاك أَيْضاً

أَرَدْتَنِي مَشْدُوداً

دُوماً إِلَيْكَ

وَبِنَظَرَةٍ سَرِيَةٍ

مِنَ حُدُقَتَيْكَ

تَتَحَوَّلُ حُدُودِي

إِلَى أَجْنَحَةٍ

وَتَتَفَتَّحُ مِن كُلِّ جِهَةٍ

أَبْوَابُ النِّجَاةِ

فَأَطِيرُ نَحْوَكَ

مِنَ كُلِّ الْجِهَاتِ...

الومضة التاسعة

صلاة شفافة

إجعلني أعود°
إلى الفسحةِ الصغرى
لبداءِ الوجود°
إجعلني أتحوّل°
إلى أولِّ شعاعٍ
من الفجرِ الأولِ...°

إجعلني أختصرُ
الزمنَ القادمَ
في اللحظةِ الصغرى
التي بها تتفتَّحُ
جُفونُ البراعمِ

إجعلني أنتظرُ
في كلِّ مرَّةٍ
في الردهةِ الصُّغرى
التي تَسْتَقْبِلُ
تفتُّحَ الزهرةِ

إجعلني...

إجعلني أولدُ

بنعمةٍ من فوقٍ

في الفسحةِ الصغرى

التي تسبقُ

ولادةَ الشوقِ

إجعلني أكبرُ

بأقصرِ مدى

في الفسحةِ الصغرى

التي تسندُ

نقطةَ الندى

إجعلني أنطلقُ
ببدايةِ كلِّ حركةٍ
أتنفَّسُ الأملَ °
وأطلبُ البركةَ °

إجعلني أشعُ
في آخرِ ومضةٍ
من ضوءِ شمعةٍ
اجعلني أختصرُ
أطولَ فترةٍ
من عمرِ دمعةٍ

إجعلني من الآن
إلى يوم القيامة
أمدد زمان
آخر لحظة
من عمر ابتسامه°

إجعلني رقةً

بساعِدِ أُمَّ

تَهْفُو لِلْمِسِ طِفْلِ

لِغَمْرِهِ وَضَمِّهِ

إجعلني أولَ حرفٍ

يَنْطِقُ بِهِ طِفْلٌ

عَلَى صَدْرِ أُمَّه°

اجعلني أوخِرُ
ساعةً مماتي
لكي أختَصِرُ
كلَّ حياتي
في النَّفْسِ الأَخِيرِ
لآخرٍ مُختَصِرٍ

إجعلني أملاً
في قلبٍ ديجورٍ
يحلم أن يُنيرَ
واجعلني أيضاً
حلمَ نورٍ
في عينِ ضَريرٍ°

اجعلني عيناً
تري بحَفَرٍ
تلك الزهورَ البرية
التي ما ملكتُ
إلا ثيابَ يوم الأحد
والتي وُلدتُ
وكبرتُ وتَزَيَّنتُ
ولم يرَها أحدٌ...

اجعَلني أَتحوّلُ

شعاعاً صغيراً

بين أشعة الغياب°

فأتركُ خلسةً

رفاقَ الإياب°

وأبقى خفيةً

طوال الليلِ

بشكلٍ وميضٍ°

أذوبُ رِقَّةً

حولَ جفونِ

طفلٍ مريضٍ...

اجعلني أَتَجَوَّلُ °
في فسيحِ أراضيكِ °
ألممٌ باعتناء °
من جوارِ المقالعِ
صغارِ الحجارةِ
التي يهددها الفناء
والتي تَفَتَّتْ
من كثرةِ ما حَلَمْتُ °
في أن تكونَ
قِطْعاً في بِناءِ °

إجعلني نبضةً حلوةً

في قلبِ طفلٍ

واجعلني أحلى :

نبضةَ طفلٍ

في قلبِ ثكلى...

واجعلني أقيمُ

كدفءِ أمّ

في قلبِ يتيمٍ...

اجعلني وميضاً
في حَذَقَةِ ديجور°
وعينا صافيةً
تعكسُ كلَّ الزهور°
اجعلني روحَ طيبٍ
في كلِّ العطور°
نسمةً باردةً°
على وجهٍ محرور°

وبعد أن اجتاحَ
كيانكُ كياني
تَفَعَّلَ كُلُّ ما فيَّ
من الإمكانِ
فأصْبَحْتُ أرى
من خلفِ الحدودِ
قلبَ لحظتي
يَسْطَعُ بالخلودِ...

الومضة العاشرة
عندما وعيتُ حضوركَ

عندما وعيتُ
حضوركَ في الجذورُ
أصبحتُ زُرقةُ السماءِ
لونَ الحنينِ الكبيرِ
إلى قلبِ البذورِ ...

عندما وعيتُ حضوركَ
في قلبِ الصباحِ °
ما عادَ الغروبُ °
يُقلِقُ نفسي °
لأنني أدركتُ
أن نورَ الأَمسِ
يدخلُ مرحلةَ السُّباتِ °
كما تتجمّعُ الشجرةُ °
في قلبِ النواةِ ...

عندما وَعَيْتُ
حضوركَ في الجاذبيَّةِ °
دَخَلتُ ° نفسي
في حركةٍ خفيَّةٍ °
من حَلَقَاتِ تصاعدٍ
في سلسلةٍ داخليَّةٍ °
وتَحَوَّلَ اتجاهي
إلى انجذابٍ
ثم انجذابي
إلى إيابٍ
لذاتي الكبيرة
إلى جاذبيَّتِكَ الأخيرة... °

عندما وعيتُ حضوركَ

في قلبِ الانتظارِ °

أصبحَ تلهُفي

مُتَّجهاً إلى الداخلِ °

ينتظرُ قدومَكَ

وعندما لمحتُ

في مقرِّ بصيرتي

توهجَ رسمِكَ

ذابَ نَفْسِي

من شدَّةِ الشوقِ °

في التلفظِ باسمِكَ

عندما وعيتُ حضوركَ

في وعيي...

أدركتُ بكلِّ وضوح

أنَّ الفضاءَ الكونيَّ

صورةٌ لفضاءِ الروحِ

وأنَّ نهايةَ الكونِ

انهيارٌ في النورِ

وتجلُّ للشفافية

وأنَّ منتهى الحضورِ

أنَّ أحلَّ فيكَ

وتحلَّ فيَّ ...

عندما وعيتُ حضورك
في قلبِ اللحظة°
انهارتُ أمامي
كلُّ السدودُ
ورأيتُ أنها
خدعةٌ كانتُ
كلُّ الحدودُ
ووجدتني أعيشُ
من الداخل°
تألفَ الزمنِ والخلود°

عندما وعيتُ
حضورَكَ في ذاتي
فُتِحَتْ ° من الداخل
جميعُ أبوابِ الكائنات °
وأصبحَ الحضورُ
كالنورِ لديَّ
يملأُ وجودي
عفويَّةً مجانيَّةً °

عندما وعيتُ
حضورَكَ في النورِ
أصبحَ الفجرُ دائماً
وأخذتُ شمسُ الشروقِ
تطلُّ من مشرقِ كلِّ لحظةٍ
وما عاد للغروبِ جفونُ
يُطبقها على عينِ الغيابِ

عندما وعيتُ
في زُرقةِ السماءِ °
حضوركَ السَّاطعِ °
أصبحتُ لكلِّ الأشياءِ °
عيونُ زرقاءِ °
مفتوحةٌ دوماً
بحجمِ الفضاءِ الواسعِ °

عندما و عيٲ
حضوركٲ في الجبلٲ
أصبح الاتجاهُ إلى فوقٲ
وامتلأتِ الوديان بالحنينٲ
واشرأبتِ السفوحٲ
تطاولُ القممٲ
وأخذَ السأمٲ
ينتزعُ روحَ السهولٲ
وهي لا تبالي
ويُرجعها إلى أرضِ
الأصولِ :

إلى الأعالى،.

عندما وَعَيْتُ

حضورك في النبع °

تفجرت ° قلوب الكائنات

بذكرى ما فات °

وَبِيوحِ الآتي

وجرت الأنهار °

بشرايين النهار °

وبدأت العودَةُ الكبرى

بدونِ وَسَيْطِ

إلى قلبِ المحيط °

عندما وَعَيْتُ
حضورَكَ في قلبي
أصبحتُ حَفَّائُهُ
متجهةً إلى الباطنِ
وانتظمَ نبضُ الزمانِ
ودخلَ شجرُ المكانِ
في البذورِ الرقيقةِ
لثمارِ الداخلِ

عندما و عيْثُ حُضُورَكَ

في قلبِ أُمِّي

دخلتِ الأُكْبَادُ فلذَاتِهَا

وسادَ الحبُّ

وذابتِ القلوبُ

في خلجاتِهَا

وتجلى العطاءُ

وولدتِ العذوبةُ

من ذاتِهَا...

عندما و عيٲُ حضوركَ

كلاً في الكلِّ

لملمتُ في الحالِ

كلماتي المتباعدة°

وبوثبةٍ في العمقُ

كليّةٍ ساجدة°

حوّلتُ كياني كلهُ

إلى كلمةٍ واحدة°

عندما و عيٲ حُورَكَ
في قلبِ المكانِ °
ألهبَ الشوقُ أعمَاقِي
فهبَّتْ ° تفتشُ
عن قسَماتِ وجهِكِ
الذي ملأَ آفاقي °
غَيرَ أنَ وجوهَ الأشياءِ °
لم تتخلَّ عن أسمائها
ولم تتلاشَ في بهائِكِ
بل ظهرتِ بكاملِ أمدائها
في وهجِ ضيائِكِ

عندما وَ عَيْتُ حُضُورِكَ

في قلبِ الكونِ

وأنا منهُ وفيهِ

أصبحتُ أَلَاقي ذاتي

عندما أَلَاقيكَ

وَأَلَاقيهِ...

وبعد أن اكتشفتُ

أن سِعةَ الأَعالي

هي فتحةُ يديكَ

صَعَدَ الكونُ

فيَّ إِلَيْكَ...

الومضة الحادية عشرة
بواكير القرابين الكونية...

أَقْدِمُ إِلَيْكَ

عَلَى الْمَذْبَحِ الصَّغِيرِ °

لِمَعْبَدِ لِحِظَتِي

فِي هَيْكَلِ ذَرَّتِي

مَجْمُوعَةَ الْبُؤَاكِيرِ °

بِأَيْدِي رِغْبَتِي

أَقْدَمُ إِلَيْكَ
أَوَّلَ حَرَكَةٍ
فِي الْكُونِ
كَأَوَّلِ مِثَالٍ
مِنْ حَلْقَةِ الذِّكْرِ
فِي الْفَضَاءِ الْبَكْرِ
دَارَتْ حَوْلَيْكَ
فَشَكَّاتُ اللَّتْوِ
فِي رَحَابِ الْجَوِ
أَوَّلَ دَوْرَةٍ
لَأَوَّلِ ذَرَةٍ
مِنْ صُنْعِ يَدَيْكَ...

أَقْدَمُ إِلَيْكَ
أَوَّلَ نَوَاةٍ
مِنْ قَلْبِ ذَرَّةٍ
تَدُورُ حَوْلِهَا
كُوَيْكِبَاتٌ صَغْرَى
كَأَوَّلِ حُبَيْبَاتٍ
لِأَوَّلِ مَجْرَّةٍ°

أَقْدِمُ إِلَيْكَ

أَوَّلُ شَكْلِ ظَهْرٍ

كَأَوَّلِ نِظَامٍ

تَوَطَّدَ وَانْتَشَرَ

كَأَوَّلِ التَّحَامِ

بَيْنَ جِزْءٍ وَآخِرٍ

أَقْدَمُ إِلَيْكَ

أَوَّلَ جُسَيْمٍ تَكُونُ

فِي أَوَّلِ الْأَحْشَاءِ

أَوَّلَ وَجْهِ تَلَوَّنُ

بِأَوَّلِ الْأَضْوَاءِ

وَأَوَّلَ عُنْصُرٍ

تَامٍ مُنْفَرِدٍ

كَأَوَّلِ الْأَعْضَاءِ

فِي جَسَدٍ ...

أَقْدَمُ إِلَيْكَ

أَوَّلَ وَحْدَةٍ صَغِيرَةٍ

نَقِيَّةٍ فَقِيرَةٍ

مِنَ الْأَشْيَاءِ

تَدُورُ بَعْنَاءَ

بِلَمْسَةٍ مِنْ يَدَيْكَ

حَوْلَ مَحْوَرِهَا

دُونَ أَنْ تَدْرِي

أَنَّهَا تَجْرِي

مِنَ حَوَالِيكَ

أَقْدِمُ إِلَيْكَ

أَوَّلَ شَعَاعٍ

مِنَ أَوَّلِ صَبَاحٍ

كَأَوَّلِ التَّمَاعِ

مِنَ حُدُقَتَيْكَ

كَأَوَّلِ وَمِيضِ لَاحٍ

مِنَ نَاطِرَيْكَ

الومضة الثانية عشرة
في العشق الإلهي...

الحبُّ قَبَسٌ

من قلبِ الألوهُةِ

يَنْبُلُجُ

وفي أفئدةِ الناسِ

يَخْتَلِجُ

فيعطي لظلمةِ البعادِ

في ذاتِ الخليقةِ

حضوراً ووصالاً

كما تعطي الشمسُ

من قربِ حضورها

للأشياءِ أشكالا

وعندما يغربُ

قبسُ الألوهةِ

في الأفقِ

ينتهي عهدُ الشفافية°

فيظلمَ الداخلُ

ويبدأ ليلُ الأنانيَّةِ

ويأخذ كلُّ شيءٍ

يتحوَّلُ°

وتعودُ الأرضُ

من جديدٍ°

إلى عصرِ الجليدِ

الأوَّلِ...°

بين (حاء) الحبِّ

و(بائه) الثانية°

كوئُكَ والمصير°

تملأهُ بالشَّرَابِ

أو اللحظةِ الفانية°

أو الحبِّ الكبير°

السَّرَابُ وهمُّ

واللحظةُ الفانيةُ

هي دونَ اتجَّاه°

أما قلبُ الحبُّ

فيعود بك

إلى صدرِ الإله...

إِلَيْكَ السِّرُّ

الْقَدِيمُ

فِي بَوَّاحِهِ

الْحَمِيمُ

إِلَيْكَ مِفْتَاحُ

الْحَلِّ الْأَكْبَرِ

بِقَدْرِ مَا تُحِبُّ

مِنَ الصَّمِيمِ

بِقَدْرِ مَا تُحَقِّقُ

ذَاتَكَ أَكْثَرَ ...

أنت كلُّ الشمسِـ

في قلبِ الشعاعِ°

خَفِيَّةٌ مُنْتَشِرَةٌ°

أنتَ كلُّ الأَمسِـ

بمدى الاتِّساعِ°

في حنايا الذاكرةِ°

أنتَ أنتَ
في الوقتِ نفسه
عطاءٌ مجّاني°
يأتي إليّ
من كلِّ آفاقي°
وخلّجةٌ كيانيّة°
في عمقِ أعماقي°

بعد أن مَلَأَتْ °
نبضاتُ قلبي
حنايا المعبدِ
الذي أنا فيه
تحوّل قلبي °
بلحظةٍ سرّيةٍ °
إلى شكلٍ حنيّةٍ °
منها أناجيهِ
وعندما رفعتُ
إليه يديَّ
أحسستُ أن المعبدَ
قد أصبحَ فيَّ ...

سرُّ وجودي
من قلبك انبجس°
فوهبت حُبَّكَ ووجودي
في نَفْسِ القَبْسِ°
وأنا بدوري
أرجع لك
وجودي وحُبُّكَ
في نفسِ النَّفْسِ°...

عجيبٌ أمرُنا
أيها الحبيب°
فأنا دوماً
عندما أسأل°
لا أبالي
أعطيكَ ذاتي
في سؤالي
وأنت أيضاً
عندما تُجيب°
ينتهي الغياب°
وتُعطيني ذاتك°
في الجواب°

عندما تنظرُ إليَّ
يشعرُ قلبي
أنَّ غلالَ الكونِ
تجمَّعتُ ° كلُّها
في أياديَّ
ويشعُّ فيَّ الحاضرُ °
ويتَّحدُ الآتي
بماضيَّ
وتُحسُّ رُوحِي
أنَّ رُوحَ الكونِ
أفرغتُ ° عُدُوبَتِها
كلُّها فيَّ

دَعْنِي أَتَخَلَّ
عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
دَعْنِي فَقَطْ أُنَاجِيكَ
دَعْنِي أَتُبُّ
إِلَى صَدْرِكَ
فَأَلَاقِيكَ
وَهَكَذَا أَحَقُّ
ذَاتِي الْكَبِيرَى
الَّتِي هِيَ فِيكَ...

قديمًا كانت صلاتي °

على شاطئِ الحياة °

صرخةً خفيّةً :

انقل ° كياني

من الشاطئِ الفاني

وحقق ° أمانيّ

ولكن عندما أدركتُ

أنّك ° أنتَ فيّ

وجدتني قد بلغتُ

إلى الشاطئِ الثاني...

إجعلني ياربَّ
أن لا أهوى
إلا تحتَ ضربةِ قلبي
وأن لا أموتَ
إلاّ من الهوى
ومن شدّةِ الحبِّ...،

أيها الفنّانُ القديرُ
إنك تحوكُ بلطفٍ
من خيوطِ المغيبِ
ومن الرّمقِ الأخيرِ
لحياةِ الحبيبِ
نسيجاً خفيّاً
لأحشاءٍ جديدةٍ
أوسعَ وأطهرَ
تهيئْهُ معاً
حياةً وحبّاً
يُعمرانِ أكثرَ...

لماذا، لماذا

عندما يغيبُ الحبيبُ

تفرغُ الأشياءُ

من معانيها

وتذهبُ الراحةُ

من أياديها

ويُصبحُ الاتجاهُ

على خطأه...؟

عندما يولدُ الحبُ
في قدسٍ أقدس القلبِ
يتحوّل الوجودُ
إلى عذوبةٍ
وعندما يموتُ الحبُّ
تُسيطرُ الأُكذوبةُ...
ويبطلُ الكونُ
أن يكونَ أعجوبةً.

هي أشعةُ فجرِكَ

قد فتَّحتْ جفوني

وأحببتَ أن ترى وجهك

من عيوني

أشعَّ صُبْحُكَ في كياني

وأوقدَ النارَ في جناني

فأنتَ مشرقٌ

ومنيرٌ

من خلالي

وأنا طفلٌ صغيرٌ

لا أبالي...

كلُّ الشُّموسِـ

تجمعتْ ° في ناظريك °

وبومضةٍ واحدةٍ

من حدقتيك °

نضجتْ ° كلُّ كرومي

ووجدتها بين يديك °

ومن عناقـ

شوقك إليَّ

وشوقي إليك °

ومن شدةِ الحضورـ

تكوّنتْ ° معصرةٌ

سكبتْ ° خموري

بين شفقتيك ° ...

لقد حكمتُ
الأحرفَ السريّةَ
لاسمك الحميم
بناري الداخليّة°
وعندما تلفّظتُ
شفاهي باسمك
لم تُعدّ تنساه°
ووجدتني أنا
أنبضُ من الشفاه...°

بيني وبينك

تأخذُ الملاقاة

في ليلِ الحواس

طابعِ المناجاة

أنت تناديني

من هناك :

هذا أنتَ أيها الحبيب؟

وأنا أجيبك

من هنا :

وهذا أنتَ أيها القريب...؟

ولا حاجةً للجواب

فمن الداخل

فُتِحَتِ الأبوابُ ...

قلبي سَجِينٌ
بين قضبانِ الضُّلُوعِ
وسِرِّي دَفِينٌ
يسيلُ مع الدموعِ
فيبلغُ مَسْمَعِيكَ
أنَّ أسَرَ قلبي
من صنعِ يديكَ
والبرهانُ عنه
أن كلَّ نبضةٍ منه
وثبةٌ إليك ...

يكفي

لكي أراكَ

رَفَّةٌ من الهدبِ

يكفي

لكي ألقاكَ

نبضةً من القلبِ

فأنتَ بالتساوي

في البُعادِ

وفي القُربِ

كي أراكَ

أنتَ فتَّحتَ عينيَّ

كي ألقاكَ

أنتَ حرَّكتَ يديَّ

أنتَ القريبُ

أنتَ الحبيبُ

وأقربُ من ذاتي إليَّ...!

جميع الحقوق محفوظة

للمؤلف

الأب يوسف يمين

تصميم الغلاف

السيدة حسنا القرطباني يمين